

اجتهادات أن تكون اشتراكية

ناقذو الاشتراكية، وكارهوها، نوعان. بعضهم يتحلون بالموضوعية، وينقدون الاشتراكية إما بمنهجية علمية، أو بناء على النتائج الفعلية لنماذجها المتعددة. وهؤلاء جادون في تناولهم لقضية مازالت تثير جدلاً رغم أنها فقدت الكثير من أهميتها، بعد أن تصدرت جدول الأعمال العالمي طوال القرن الماضي أو معظمه.

أما البعض الآخر من ناقذي الاشتراكية فهم يكرهونها دون أن يعرفوا عنها، أو اعتماداً على معرفة سطحية غالباً ما تكون سمعية لأن نقدهم لا يوحى بأنهم يقرأون فيها، أو في غيرها.

أرسل لي صديق منذ أيام ما كتبه أحد هؤلاء الذين ينقدون الاشتراكية دون معرفة، ولكنهم يملكون جرأة مدهشة لا يمكن أن نجد مثلاً لدى أكثر العلماء علماً في أي من العلوم. فشيمة أهل العلم الحذر، والتأني، والتدقيق، والقلق من إصدار أحكام، بخلاف من لا يعلمون، ولكنهم يصدرون أحكاماً بناء على انطباعات قد تكون ساذجة.

وأكثر ما يثير التندر في الكلام الساذج عن الاشتراكية، والاشتراكيين، ما يصدر عن بعض من لا يملكون إلا المال، ويظنون أنه كل شيء في الحياة، ولا قيمة لغيره.

يظن هؤلاء أن المثقفين الاشتراكيين، واليساريين عموماً، يحقدون على أصحاب الأموال، وأن هذا هو الدافع إلى تبنيهم فكراً اجتماعياً، لأنهم

يجدون أنفسهم بلا مال، وهم الذين قرأوا آلاف الكتب، بينما يملك من لم يقرأ كتاباً الكثير من الأموال. ولذلك يريدون سلب هذه الأموال وتوزيعها على المجتمع. أما إذا تبنى شخص ثرى الاشتراكية، فهو فى رأى كارهيها من هذا النوع، غير طبيعى لأنه فقد الإحساس بالمال والمتعة الناتجة عن امتلاكه.

ويختلف هذا «الفهم المالى» للاشتراكية جذرياً عما يفهمه من يقرأون فى مرجعياتها المتنوعة التى تختلف فيما بينها فلسفياً وفكرياً، واقتصادياً وسياسياً. ويشمل هذا الاختلاف قضية الملكية الخاصة. وهذا اختلاف يعلمه كل من لديه أدنى اطلاع على النماذج الاشتراكية غير الماركسية مثل الفابية والسان سيمونية، وتلك التى خرجت عن عباءتها وانفصلت عنها كلياً مثل الاشتراكية الديمقراطية بأطيافها وألوانها المتعددة. فأن تكون اشتراكياً لا يعنى بأى حال أنك ترى أن التأميم يمكن أن يكون حلاً لأي مشكلة، أو تستهين بأهمية الاستثمار الخاص.